ولقد حرت مثلما حار جيرا ... فى فيها وكلهم من عداها
إن ضحكنا من حادث أزعجتنا ... بطريف فى أى كرب تناهى
وظللنا ندعو الذى خلق الخلـ ... ـق جميعا أن لا يطيل بقاها
بيديه الخلاص إن شاء منها ... وإذا شاء ردها لهداها
وتفقدت جارتى ذات يوم ... وسألت الجيران ماذا عراها
فاصطخابات جارتى لا تدوى ... لا ولا رجع الفضاء صداها
وتساءلت ما دهاها فلم أا ... ن مجيبا يجيبنى ما دهاها
غير أنى أسفت لما رأت عيـ ... ـنى فى دارها عجوزا سواها
فهى قد سافرت إلى غير رجعى ... غير ما يستعاد من ذكراها
وأكيد فراقها وأكيد ... أننى قد حرمت من ضوضاها
وكذا ساءنى نواها كأن الـ ... ـنفس من بعدها يعز عزاها
عادة المرء فى الحقيقة جزء ... منه حتى فى الشر لا يتناهى

عثمان حلمى

مسرحية (٧٠ سنة)

الأستاذ علي متولى صلاح

بدأ السباق يدب بين الفرقتين اللتين تهضان بفن التمثيل فى مصر ، وأعنى بهما (فرقة المسرح المصرى الحديث) و (الفرقة المصرية) فى تقديم المسرحيات التى تتجاوب مع الموقف الوطنى الجليل الرائع الذى تقفه البلاد هذه الأيام . وتتفق مع مايجرى فى النفوس ويسرى فى العروق من لهفة حارة تستبد بالمصريين إلى التحرير والجلاء الناجز ووحدة الوادى بلا إبطال ولا إمهال

أخذت الفرقتان تتسابقان فى هذا ، وأغلب الظن أن ذلك التسابق سيستمر سجالا بينهما حتى تنجلى الغمة ويتحقق الرجاء ، فان تستطيع النفوس التى تتقد بالوطنية وتتغلى بها أن تجد فضلة منها لقبول شىء دون ذلك ! ... وكان فضل السبق فى هذا المضمار للفرقة الأولى دون شك ، فقد تركت ما كانت أعدته للموسم من مسرحيات أخرى وأسرعت تلتمس مايؤدى المعانى الوطنية التى فارت بها مشاعر الناس وملكت عليهم أمرهم وسواء أوفقت فى ذلك أم جانبها التوفيق فلن يسلبها هذا فضل السابقين الأولين من المجاهدين ! ... قدمت — فيما قدمته — مسرحية تصور حادثة من حوادث التاريخ المصرى الحديث ، فقدمت الفرقة الثانية تصويرا للتاريخ المصرى الحديث كله ، وكأنها فى ذلك تقول للفرقة الأولى : إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا !!

ونسيت الفرقة المصرية أن الأمر فى المسرح ليس أمر زحمة فى الحوادث ، وليس أمر قدرة على حشد أكبر عدد منها ، فذلك مطلب يسير هين ، وهو — فوق ذلك — ليس من الفن المسرحى فى شىء ! فرب لمحة خاطفة يصورها المسرح فيحس تصويرها ، أدل على المعنى وأبعد فى النفوس أثرا من احتشاد الحوادث وتعاقبها وكثرتها !

قدمت هذه الفرقة مسرحيه (٧٠ سنة) فسردت فيهـــا تاريخ الحركة الوطنية المصرية منذ سنة ١٨٨٢ من التاريخ الميلادى حتى يومنا هذا سردا متصلا متلاحقا انبهرت معه أنفاس المؤلف وتكاثرت عليه الحوادث وتزاحمت من حوله الشخصيات ، وكان هو حريصا على أن يعرض الحوادث والأشخاص جميعا دون سهو أو نسيان — كما يقولون فى عالم التجارة — فأصبح لايدرى ماذا يأخذ وماذا يدع . واستعان الله على هذا كله ، ومزج المسرح بالسينما وبالكلام الطويل فى الميكروفون ، فجـــاءت المسرحية مسخا شائها عجيبا . وأنا أستغفر الله من تسميتها باسم (مسرحية) فلا أجد ما أسميها به غير ذلك مع علمى بأن ليس لها من هذا الاسم نصيب

نعم . إنه ليس من الفن المسرحى فى شىء أن تساق الحوادث سوقا كأنها معلى تحث بالسياط فلا يربط بينها رابط ، ولا توحدها حادثة أساسية متصلة تجذب انتباه المشاهد ، وتؤجج شوقه إلى نهايتها وفك عقدتهـــا ، مما تحتمه شرائط المسرحية الصحيحة كما عرفت منذ التاريخ القديم ... وليس من الفن المسرحى فى شىء أن ترى المشاهد حوادث التاريخ تترى كأنها

موكب من مواكب الاستعراض لا أكثر ولا أقل ! ويراها المشاهد مرة على صورة مسرحية متحركة ينهض بها ممثلون يتحركون على الخشبة ويلعبون أدوارهم أمام الناس ، ثم مرة ثانية على شريط سينمائي يعرض أمام أنظارهم لتكمل به الحوادث، ثم مرة ثالثة يسمع الميكرفون وهو يتمم ما عجز التمثيل والسينما معا عن أن ينهضا به من الحوادث التي ينوء بها العصبة أولو القوة ، فيصل ما يوشك أن ينقطع على المشاهد من الحوادث المتلاحقة !!

ونسي المؤلف الفاضل أن لكل واحد من هذه العناصر الثلاثة غرضا خاصا به واتجاها يتفرد به دون العنصرين الآخرين، ويختلف فيه عنهما اختلافا بينا ، وأن الجمع بين هذه العناصر الثلاثة في صعيد واحد إنما هو استعانة واستعانة من المسرحية الضعيفة التي عجزت عن القيام بمهمتها منفردة مستقلة معتمدة على نفسها فأخذت تطلب النجدة من هنا وهناك !!

ولعل المؤلف الفاضل يعلم أن محاولات قامت في أوربا للجمع بين الفن المسرحي والفن السينمائي معا على خشبة المسرح تمكينا له من إيراد عدد أكبر وأضخم من المناظر ، وتقريبا له من القدرة الكبيرة التي تتمتع بها السينما دونه ، وأن تحويرات وتعديلات أدخلت على تركيب المسارح لتمكينها من ذلك أيضا ، ولكن ذلك جميعه باء بالفشل وخلص المسرح للتركيز في الأسلوب والحوار ، وللايحاء والخيال البديع ، وللاشارة دون الإفصاح الواضح. وخلص المسرح إلى قيم ومعالم ليس للسينما — وهي واقعية النزعة — أن تجاريه فيها . وتفرد المسرح بالإجمال وترك الحواشي وما إلى ذلك مما يجعل كلا من الفن المسرحي والفن السينمائي يختلفان فيما بينهما تمام الاختلاف ، وأصبح الرأي السائد الآن في أحدث المذاهب أن الجمع بينهما إنما هو جمع بين الأضداد والمتناقضات ..

ولا أدري ما الذي تهدف إليه هذه المسرحية وهي لم تزد على سرد التاريخ سردا خاليا من أي أثر للفن أو أي تجنيح للواقع ؟؟ اللهم إن كانت تهدف إلى مجرد ذكر التاريخ الواقع المبذول بين أيدي الناس في الكتب المدرسية التي يقرؤها التلاميذ ما يربي عليها وما يفوقها دقة وأمانة وتفصيلا ! وإن كانت تهدف إلى استثارة الناس بعرض التاريخ الذي يعرفونه عليهم فإن ملاك الأمر في ذلك للفن الذي قدمنا أنها خلت منه خلوا تاما ! وإن كانت تهدف إلى أن تشارك في تقديم ما يتفق والشعور الوطني الحاضر على أية صورة — فيجب أن تعلم أن عليها أن تفعل ذلك في حدود المراسم المسرحية والفن المسرحي الذي تتسم به وتقوم عليه ..

هذا — وأحب أن أهمس في أذن المؤلف الفاضل بهذه الملاحظات اليسيرة ابتغاء أن يتدبرها : —

١ — لماذا أغرم المؤلف بإبراز وفاة الكثير من أبطال المسرحية أمام الناس حتى جعل من المسرحية جنازات متلاحقة مع أن وفاتهم جميعا لم تكن تحمل معنى خاصا ، فكلهم مات على فراشه وكان في حياتهم الكثيرة من المواقف الوطنية ، اللهم إلا إذا كان المؤلف قد أراد بإبرازموت السابق ترشيحالحياة اللاحق، وهكذا دواليك ! فالموت إذن — في نظر المؤلف — هو الخيط وهو الرابطة التي تربط أجزاء المسرحية ! ؟

٢ — كيف يستسيغ المؤلف أن يبعث الوطنية في نفس ابنة الباشا المقيمة معه في منفاه بإهدائها كتابا عن (جاك درك) ثم يزيد فيشرح قصتها ، وهي — كما يرى القارىء — استعارة غير مستحسنة من البطولة الأجنبية ! وهل خلا التاريخ المصري أو التاريخ العربي من كل صور البطولة في النساء والرجال جميعا حتى يضطر المؤلف إلى استيراد بطولة من الخارج ؟!

٣ — كيف يتفق أن يخطىء محمود سامي البارودي — وهو أحد علام — في تطبيق أبيات قام هو بتأليفها ! فيقول مثلا (أجفى وأجتنب) ببناء الفعل الثاني المعلوم والصواب أن ينطقه مبنيا للمجهول ؟ ويقول (النشب) بكسر الشين والصواب بفتحها وتلك أخطاء لا تجوز على التلاميذ المبتدئين بله محمود سامي البارودي !!

٤ — كيف يتفق أن يرشح مصطفى كامل — وهو يحتضر — محمد فريد للزعامة بعده ويوصي إخوانه وزملاءه بذلك علانية ، ثم يستدعيه ويجلسه أمامه مجلس التلميذ ويلقي عليه سيلا من الأسئلة عن وطنيته وهدفه ومبدئه وشعاره وعما هو الاحتلال ! وما هو الاستقلال ! وغير ذلك من الأسئلة التي لا نراها تلقى إلا على تلاميذ المدارس حتى حسبناه سيستطرد إلى سؤاله عن اسمه